ظهر حديثاً

البيت السبكي للأستاذ محمد الصادق حسين بك (دار الكاتب المصري)

الأستاذ محمد الصادق حسين بك رجل مارس العلم والتعليم قبل أن يتقلب فى المناصب المالية والادارية ، ويبلى فيها أحسن البلاء . وممارسته للعلم والتعليم فى أيام الشباب هى التى ردته إلى البحث والاستقصاء حين تخفف من أعباء الخدمة العامة الرسمية . وكان فى أثناء خدمته العامة تلك ، يصاحب العلم ويباشر الكتب ويقرأ ما شاء الله أن يقرأ ، ويتحدث إلى نظرائه المثقفين الممتازين فى فنون من الثقافة والأدب حديث العالم المستقصى . ولكنه كان يعلم أن الله لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه ، وأن التفرغ للعلم لا يتاح لمن يغدو ويروح مشغولا بالادارة والمال فى حياتنا العامة المعقدة . فلما ترك لأصحاب الادارة والمال إدارتهم ومالهم ، عاد إلى علمه الذى أحبه ، وإلى كتبه التى آثرها ، ولم يلبث أن اندمج فيها واندمجت فيه ، كما يقول أصحاب التمثيل فى هذه الأيام ، وأخرج لنا هذا الكتاب الذى إن دل على شئ يفجأ الناظر فيه قبل أن يتعمق أو يعمد إلى نقد ، فانما يدل على أن مؤلفه صاحب فراغ للبحث والدرس وعكوف على التحرى والاستقصاء . فأنت لا تكاد تمضى فى قراءة الصفحات الأولى من الكتاب حتى ترى رجلا يحدثك عن كتب المؤرخين القدماء والمحدثين الشرقيين والمستشرقين ، كأنه قد أنفق حياته معاشرا لأولئك وهؤلاء . ولم ينفق خلاصتها متردداً بين وزارات الحكومة غارقا فى أمور المال والحساب .

ولكنك تمضى فى القراءة فتفجؤك خصلة أخرى يمتاز بها هذا الكتاب ، وهى أن كاتبه لم يقبل على كتابته متأثرا بما يتأثر به الباحثون من حب الاستطلاع الخالص الذى يجعل الباحث موضوعيا ، ليس لعواطفه ولا شعوره تأثير قليل أو كثير فيما يستقبل من البحث ، وإنما هو إلى دقته واستقصائه وحرصه الشديد على أن يتحرى الحق ويلتزم مناهج البحث التاريخى الصحيح ، قد دفع إلى بحثه هذا بعاطفتين كريمتين : إحداهما حبه لاقليمه الذى نشأ فيه ، وهو إقليم المنوفية . والآخر حبه لوطنه وتتبعه لدعوة الاصلاح فى هذا الوطن ، وتتبعه من أجل ذلك لما يختلف على مواطنيه من ألوان الضعف والقوة ، وفنون الانحطاط والرقى ، وضروب الخمود والنشاط . فهو يدرس فى هذا الكتاب أسرة مصرية من أسر المنوفية عاصرت دولتى المماليك ، وأنجبت لمصر وللعالم العربى ، بل للعالم الاسلامى كله ، جماعة من علماء الدين وأئمته ، كانوا نوراً ساطعاً فى ذلك العصر الذى كانت الظلمة تحاول فيه أن تغمر العالم الاسلامى بحكم ما أصابه من غارات الصليبيين والتتار ، ومن تحكم الترك فى شؤونه ومصايره .

وهذه الأسرة هى أسرة السبكية التى ما زالت آثارها العلمية والدينية باقية

يعيش عليها الفقهاء والمؤرخون إلى الآن ، وسيعيش عليها الفقهاء والمؤرخون دهرا طويلا . وما من شك فى أن مصرية هذه الأسرة ونشأتها فى سبك العويضات باقليم المنوفية ، هما اللتان حببتا إلى الأستاذ الصادق حسين العنايه بها ، والتتبع لآثارها ، وإحياء ذكرها بهذا الكتاب الممتع النفيس .

وقد قرأ الأستاذ الصادق حسين كتاباً لرجل من علماء هذه الأسرة لفته إلى أن حركة الاصلاح التى دعا إليها جمال الدين، والكواكبى ، ومحمد عبده فى القرن الماضى ، ليست بدعاً من حركة إصلاح أخرى، دعا إليها عالم مصرى منوفى فى القرن الثامن للهجرة ، ولقى فى دعوته إليها من الجهد والمشقة والامتحان مثل ما لقى هؤلاء المصلحون . وهذا الكتاب هو كتاب «معيد النعم ، ومبيد النقم » لتاج الدين السبكى . فأقبل الأستاذ الصادق حسين على درس هذا الكتاب وتعمقه ، والموازنة بين دعوة الاصلاح القديمة ودعوة الاصلاح الحديثة ، والموازنة بنوع خاص بين الأسباب التى أثارت الشيخ إلى دعوته فى القرن الثامن للهجرة ، والتى أثارت الشيوخ إلى دعوتهم فى القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة . وإذا هو يصل إلى نتيجة رائعة مروعة حقا . فالاستبداد هو أصل الفساد فى العصرين ، والظلم هو الذى أفسد التوازن بين طبقات الشعب ، وأثار فيها ضروباً من الآثام والموبقات متشابهة كل التشابه ؛ ومن أجل ذلك تشابهت الدعوة إلى تغييرها وتشابه العلاج الموصوف لها فى العصرين : حكام يظلمون ، ويتخذون الحكم غاية لا وسيلة ويتخذون السياسة أداة لارضاء الغرائز وتحقيق المطامع وقضاء المنافع العاجلة ؛ وإدارة تفسد من أجل هذا كله ؛ وشعب يشقى بهذا الفساد ؛ وأخلاق اجتماعية تنشأ قوامها الأثرة ، وما تستتبع من الكيد والغش ، والتهالك والخمود ، وصغر النفوس ، وتضاؤل الآمال ، وحب الحياة اليسيرة الخسيسة التى لا تغنى عن أصحابها شيئاً. وعلاج واحد يقترح فى العصرين ، وهو أن يعترف الناس بنعمة الله عليهم ، وأن يشكروا لله نعمته هذه فيقبلوها كما ينبغى أن تقبل بقلوب خالصة ونفوس صافية وضمائر نقية ؛ ونهوض بالواجب من حيث هو واجب لا من حيث إنه يجلب نفعاً أو يدفع مضرة، واستقامة من أجل ذلك فى السيرة ترد الحاكم إلى القصد وتشعره بأن الحكم وسيلة لاسعاد المحكومين ، وتبصر الشعب بالحق وتشعره بأنه قد خلق حرا يعيش لنفسه ويحكم لمصلحته ، وليس لأحد أن يذله أو يستغله ، أو يتخذه أداة لتحقيق مطمع أو قضاء مأرب أو إرضاء شهوة . والقارىء يدهش من غير شك حين يقرأ هذا الكلام . ويستبين أن شعور المثقفين المصريين فى القرن الرابع عشر، هو شعور المثقفين المصريين فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين للمسيح . ولكن هذه هى الحقيقة الواقعة التى جلاها الأستاذ الصادق حسين فى أيسر اليسر وأقرب القرب . تلقى هذا الكتاب الصغير ، فلم يكتف بالنظر إليه وإلى ما قيل حوله ، وإنما قرأه على مهل وأساغه فى أناة . وكان الناس يقولون إنه كتاب فى التصوف ، فاذا هو يجد نفسه فى السياسة لا أكثر ولا أقل . وكل ما فى الأمر أن عليه مسحة دينية ؛ لأن صاحبه رجل من رجال الدين وإمام من أئمته وقاض عظيم من قضاة المسلمين . وأكبر الظن أن الذين يتلقون الكتب القديمة لو قرأوها قراءة إمعان وفهم ، لخرجوا بنتائج كثيرة قيمة كهذه النتيجة التى يعرضها

علينا الأستاذ الصادق حسين ، بعد أن فرغ لقراءة هذا الكتاب .

على أن الأستاذ الصادق حسين لم يخرج بهذه النتيجة وحدها ، وإنما خرج لنا بنتائج كثيرة كلها قيم ممتع حقا . فقد دعاه درس هذا الكتاب إلى درس الحياة المصرية أيام المماليك ، وإذا هو يعرض علينا نتيجة قد تغيظ المؤرخين الذين يعجبون بالمماليك وتخدعهم ظواهر الأمور ، فيثنون عليهم لأنهم أتموا تحرير الشرق العربى من الصليبيين ، وردوا عن الشام ومصر غارات التتار ، وأقاموا ما أقاموا من العمارات ، وحفظوا لمصر استقلالها رغم الأحداث الخطيرة التى كانت تلم بالعالم الاسلامى ، ونظموا العلاقات الخارجية السياسية والتجارية مع الشرق والغرب . ولكن هذا كله لا يرضى الأستاذ الصادق حسين ؛ لأن السياسة الداخلية للمماليك كانت تقوم على الظلم والعسف ، وعلى الأثرة والاستبداد ، ولأن الحياة التى كان الشعب المصرى يحياها فى ظل المماليك كانت حياة قوامها البؤس والشقاء .

وهذا يصور إيمان الأستاذ الصادق حسين بالمذهب الحديث ، مذهب الايمان بأن السياسة يجب أن تكون وسيلة لاسعاد الشعوب . ولكنى أود لو يفكر المؤلف فى أن ما يشهده فى مصر أيام المماليك من الظلم والعسف ومن بؤس الشعب وشقائه ، لم يكن مقصوراً على مصر ، وإنما كان شائعاً فى الأرض كلها شرقها وغربها ، كان ظاهرة اجتماعية أو قل إنسانية ، تلاحظها فى جميع البلاد المتحضرة على اختلاف حظوظها من الحضارة ونظم الحكم . وهذا هو الذى جعل للعصر الحديث امتيازه ، وهو الذى جعل لعصر الثورة الفرنسية وما بعده امتيازه السياسى والاجتماعى . وليس أحد ينكر أن لويس الرابع عشر قد كان ظالماً مستبدا ، وأن الشعب الفرنسى فى ظله قد كان بائساً شقيا . وليس أحد ينكر فى الوقت نفسه أن عصر لويس الرابع عشر قد كان عصر مجد لفرنسا الشقية البائسة ، لأسباب تشبه من وجوه كثيرة الأسباب التى جعلت عصر المماليك عصر مجد لمصر الشقية البائسة . فقد كان بؤس الشعوب وشقاؤها وظلم الحكومات واستبدادها أصلا من أصول الحياة ، ومظهراً من مظاهر التاريخ فى القرون الوسطى . ولو لم يكن لعصر المماليك من الفضل إلا أنه حفظ للحضارة الاسلامية مصباحها مضيئاً ، ولواءها مرفوعاً ، وأتاح للعلماء أن يكتبوا ، وللسبكيين أن ينتجوا ، ولابن تيمية أن يذيع دعوته ، ولتقى الدين السبكى أن يخاصمه ، ولتاج الدين السبكى أن يدعو إلى الاصلاح العملى السياسى والاجتماعى ، كان هذا خليقاً أن يتيح لنا أن نتحدث فى شئ من الرضا عن عصر المماليك .

والأستاذ الصادق حسين يذكر ظلم المماليك فيما أقاموا من العمارات . فقد ينبغى أن يذكر ظلم الفراعنة فيما أقاموا من المعابد والأهرام ، وظلم الفرنجة فيما أقاموا من العمارات أيضاً ، وفيما جشموا الشعوب من أهوال الحروب . والمماليك بعد ذلك قد حفظوا على مصر علاقتها بالشرق والغرب ، ومكنوها من أن تأخذ وتعطى وتشارك فى الحضارة ، وهيئوها للمشاركة فى النهضة الحديثة ، لو لم يفسد الترك العثمانيون عليها أمرها . وكم كنت أحب أن يفرق الأستاذ بين أثر المماليك فى الحياة المصرية وفى مصير مصر ، وأثر الترك العثمانيين فى الحياة المصرية وفى مصير مصر أيضا .

وربما كان من أقوم النتائج التى أخرجها لنا الأستاذ الصادق حسين فى بحثه هذا هو أنه حين عرض الأسرة السبكية ، قد

عرض أسماء جماعة من السيدات عنين بالعلم والدرس ، وتخرجن على جماعة من الأئمة ، وتخرج عليهن جماعة من الأئمة أيضا ، فكن يتلقين الاجازة من العلماء ، وكن يهدين الاجازة إلى العلماء . فما أجدر الذين يتتبعون تاريخ المرأة ويحاولون إصلاح حال المرأة فى العصر الحديث ، بأن ينظروا فى أسماء هؤلاء السيدات اللاتى نبغن فى أسرة واحدة من الأسر المصرية أيام المماليك . ومن يدرى ! لعلهم إن تتبعوا مثل هذا البحث أن يجدوا أسماء كثيرة لنساء كثيرات فى أسر مصرية أو عربية أخرى .

والشئ الذى لا أشك فيه هو أن أظهر ما فى كتاب الأستاذ الصادق حسين من الخصائص والمزايا بعد دقته فى البحث وحسن استقصائه للتاريخ وتحريه للحق ، أنه كتاب شديد الايحاء والاغراء ، لا يكاد القارئ يمضى فيه حتى يود لو استطاع أن يبحث كما بحث المؤلف ، ويستقصى كما استقصى ، ويستخرج من كنوز التاريخ مثل ما استخرج من هذه النتائج القيمة . وليس هذا بالشئ القليل .

طه حسين

غانية أطلنطا للأديب الفرنسى بيير بنوا ترجمة الأستاذ رشدى كامل (دار الكاتب المصرى)

ليس من السهل إذا أردنا الكلام عن القصصى الفرنسى بيير بنوا ، وإذا أردنا أن نعرف مركزه فى الأدب الفرنسى ، أن نحدد هذا المركز تماما ، وأن نقدر ما أسداه من يد للآداب الفرنسية . فهو كأديب لم يشتهر بغير القصص ، وهو كقصصى لم يبلغ شهرة واسعة أو قل شهرة عالية إلا بقصتين « غانية اطلنطا » التى أصدرتها دار الكاتب المصرى فى ثوب عربى ، وقصة « كوينجسمارك » التى لم تنقل بعد إلى العربية فيما أظن . وقد ألف قصصا عديدة غير هاتين القصتين ، ولكنها لم تضف إلى شهرته من هاتين القصتين شيئا . ولا ريب فى أن بيير بنوا له جمهور كبير يقبل على قصصه ، وله جمهور ينتظر هذه القصص فى صبر نافد ويقرأ هذه القصص فى لذة . ولكن لا نظن أن الجمهور قد وجد فيما ألفه من بعد ما وجد فى « غانية أطلنطا » .

والواقع أن قصة « غانية أطلنطا » عندما صدرت فى سنة ١٩١٩ قابلها قراء القصص فى فرنسا وقراء القصص الفرنسى فى غير فرنسا لأول وهلة بارتياح عظيم ؛ إذ وجدوا فيها قصة جذابة بحوادثها وغرائبها قبل كل شيء ، أى إنها جذابة بالعنصر الأساسى للقصة . فليست هذه القصة تجربة فى الأسلوب ولا هى تجربة فى بناء القصص ، وإنما هى مجرد قصة تجتذب القارئ فلا يكاد يستطيع مفارقة الكتاب حتى يصل إلى خاتمته . وقد مكن المؤلف لقصته كى تكون حوادثها غريبة وظريفة بأن اختار موضعا لحوادثها قارة إفريقية التى ما زالت ولن تزال موضع الغرابة والأسرار لدى الأوربيين .

وكان بيير بنوا فى طريقته التى سلكها فى هذه القصة مبتدعا — على الأقل لدى قراء اللغة الفرنسية — فان الذين يقرءون اللغة الانجليزية مثلا لم يفتهم أن يروا العلاقة بين هذا القصصى الفرنسى وبين قصصى انجليزى سابق له بجيل واحد أو يكاد يكون معاصراً

وهو ريدر هاجارد، ذلك القصصي الذى اتخذ إفريقية مسرحا للكثير من قصصه بل لأكثرها . ولم يفت الذين يقرءون اللغة الانجليزية أن يروا تشابها فى بعض أشخاص قصة « غانية أطلنطا » وإحدى قصص ريدر هاجارد الشهيرة . ولانريد أن نسترسل فى هذا الموضوع، وإنما كل مايهمنا أن نقوله هو أن الجو الافريقى أتاح للقصاصين نجاحا عظيما. إذ لا ريب فى أن ريدر هاجارد بلغ شهرة كبيرة درت عليه أموالا طائلة، وكذلك درت شهرة بيير بنوا عليه الأموال، أما القيمة الفنية والمجهود الفنى فهذا ماتركه الآن .

كل ما نريد أن نقرره هو أن المؤلف الانجليزى تمتع بالمال والشهرة فى حياته وأغدقت عليه ألقاب الشرف من أجل مؤلفاته ، وأن الكاتب الفرنسى نال شهرة ومالا ونال من الشرف مالا مطمح بعده إذ عين عضواً فى الأكاديمية الفرنسية وصار على قول الفرنسيين من الخالدين .

ولم لا ؟ لماذا يريد الأدباء أن نقتصر على الكتب ذات القيمة الفنية العظيمة وأن نتجرع هذه الكتب كالدواء قد نبرأ به ونسترد العافية ونفتح صفحة حياة جديدة، ونشعر أننا بعد هذا الدواء قد صرنا خيراً مما كنا من قبل ، ولكنه على كل حال دواء نشربه مكرهين ؟ وما أمر الدواء فى القصص!

أما القصاصون من أمثال ريدر هاجارد ، وبيير بنوا ، فان نفعهم ظاهر وأثرهم سريع . هم يسترعون الذهن من أول لحظة ، ويبعدون عن الذهن متاعبه وهمومه ، وينسون المريض آلامه والمؤرق متاعبه .

ربما كان الفرق بين القصصى السهل والقصصى العبقرى ، هو أن الأخير يقتطع من نفسه وعصارة ذهنه ، ويقدم شطراً من حياته . أما الأول فيسر لك فى سهولة سبل التسلية . فهو يعمل للذتك ، ويستقضيك مالا . أما ذلك العبقرى فيقتطع من نفسه وأجره عند الله .

وقد أرادت دار الكاتب المصرى أن تطلعنا على النوعين . فانها قدمت من الأدب الدسم العميق فى فن القصة ستاندال وغير ستاندال . وهى اليوم قد أرادت أن تقدم بيير نوا فى قصص سهل شيق ، وأرادت أن يكون النقل إلى اللغة العربية ملائماً لمزاج القصة ، فاختارت أديباً تجرى فى عروقه دماء الشباب ، لينقل تلك القصة المثيرة بحوادثها ، ولقد نجح ووفق توفيقاً كبيراً ، إلا فى كلمات قليلة أراد أن يظهر فيها علمه بأساليب اللغة . وكان الأجدر به أن يظل فى أسلوبه المرسل العذب الذى يلائم هذه القصة الشيقة .

حسن محمود

ديوان أبى فراس نشره سامى الدهان فى ثلاثة أجزاء (بيروت ١٩٤٤)

قال ابن الرومى :

قولا لمن عاب شعر مادحه
أما ترى كيف ركب الشجر
ركب فيه اللحاء والخشب اليا
بس والشوك بينه الثمر

وعلى هذا أكثر الشعراء الأقدسين ، كأنما شق عليهم أن يطرحوا آثار القريحة ساعة تجمد فيقتصروا على الفرائد والغرر . ولطبع كل شاعر أيام تخلف تجئ فيها الأغراض مطروقة والتعابير قلقة . وليس

الاختراع والابداع من سنن الخلق اللازمة. واليوم نرى الشعر –أو يجب أن نراه– فناً من فنون القول الاسمى ، فكيف نستطيع أن نرضى عن الترخص الذى حلا لأكثر الأقدمين ثم طاب لجمهور هؤلاء المحدثين من شعراء ومتشاعرين ؟

يقول أبو فراس :

الشعر ديوان العرب
أبداً وعنوان الأدب

وما أبغي سوى شكرى ثواباً
وإن الشكر من خير الثواب

أنت تجد مثل هذا النظم السخيف أو الفاتر ، ولكنك تقع فى غير موضع من الديوان على رقائق « الروميات » وعقائل « الفخريات » ، وتقع على « أراك عصى الدمع ... »

وقد يفجاك لمح الرمز أو لطف المعنى هنا وهنا . من ذلك :

عبرن بـ «ماسح» والليل طفل
وجئن إلى « سليمة » حين شابا

تعلم –أقيك السوء– أن مدامعى
لبعدك مثل العقد أوهاه ناظمه

هذا ، وجعل بعضهم أبا فراس ضريب المتنبى وأبى العلاء ، بل قدمه نفر من المستشرقين عليهما وعلى ابن الرومى وأبى تمام هذين الفحلين . وما أظن الأمر كما ظنوا جميعاً . فأبو فراس ، على جزالة لفظه وحلاوة وشيه ووجاهة غرضه ، من زعماء المعنى الغمر والعبارة الحافلة والاشارة الخاطفة . غير أنه من أحسن من صاغ شعر الحنين فتوجع وأوجع ، وهنا فضله .

ولست اليوم بسبيل الكلام على شعر الرجل ، ولكنى قرأت ديوانه لأتعرف كيف أخرجه لنا الأديب الحلبى سامى الدهان . فقد والله كد فى تحريره وتقريبه . ومما أعجبنى فى الأديب نصبه المصاعب فى وجهه ، إذ كثر النسخ التى اعتمدها إرادة الاستثبات فجعلها أربعين ، بعد أن طاف من أجلها شرقاً وغرباً . وهو بهذا أهدى إلينا عملا منشأ إنشاء إذ خلص شعر صاحبه من الشوائب المنبثة فى ثلاث النسخ المطبوعة ، وإذ أتى برواية ابن خالويه وشرحه ، بأعلى الروايات وأفضل الشروح ، وإذ رد إلى ديوان أبى فراس ثلثيه ، فما أكرمه !

وإن مُخرَج هذا الديوان من خير ما وقعت عليه عينى . فالمتن سلم من النقائص والحواشى حفلت بالاشارات . ولا شك فى أن المخرج تعب صادقاً مخلصا . ثم إنه أراد أن يزيد على مشقة البحث والتحقيق عناء الشكل الكامل والترقيم البالغ . وقد لعمرى كان عنهما فى غنىً إلا حيث يخشى اللبس . ولولا هذا الافراط فى سبيل تقريب الحروف إلى من اعتادوا النظر فى الشعر لكان الديوان أمن اضطرابا يسيراً استدرك المحرر بعضه فى باب « التصويب » . ومن أمثلة ما فاته : ورود « ظلوم » ثلاث مرات فى صفحة ٢٤٢ منصرفاً فى النثر على حين أنه اسم قينة فلا ينصرف .

ولست أشك أن جل ما سقط فى هذا الباب مرده إلى بعد المحرر عن موطن الطبع ، وقد أبى إلا ركوب الصعب فلا يجمل بأحد أن يتعقبه تعقب طاعن .

أما معارضة الروايات بعضها ببعض فمما يدل على نشاط المحرر لشعر أبى فراس وحسن تأتيه لفهمه ، وكثيراً ما رأيت رأيه . وإن أنا وقفنى التحرى والتخير حتى إن الشك

أدركنى فلم يكن هذا إلا فى الندرة ، ودونك مثلا مما وقفنى :

إلى الله أشكو من فراقك لوعة
طويت لها منى الضلوع على جمر

وحسرة مرتاح إذا اشتاق قلبه
تعلل بالشكوى وعاد إلى الصبر

ص ٢٠ وفى روايات الهامش :
١) وحسرة مشتاق إذا اشتاق قلبه .
٢) إذا ارتاح قلبه . فالظاهر لى أن صحة البيت الثانى هكذا :

وحسرة مشتاق إذا التاح قلبه
أو : وحسرة مشتاق إذا التاع قلبه
أو : وحسرة ملتاح إذا اشتاق قلبه

لجلى أن لفظة « المرتاح » الواردة فى نسختين (وقد آثرها المحرر) لاتستقيم معها « الحسرة » و « اللوعة » و « طى الضلوع على جمر » ، لأن المرتاح هو المسرور أو الناشط . وإنما الحسرة تلزم الملتاح أى الظمآن ، وكذلك تلزم الملتاع ، والقلب يلتاع إذا احترق من الهم أو الشوق . لذلك جعلت العرب الظمأ والالتياع من تلويحات الشوق الشديد .

وأيضاً وقفنى تفضيل المحرر رواية على رواية دون تعليل . من ذلك :

طلبتك حتى لم أجد لى مطلباً
وأقدمت حتى قل من يتقدم

وما قعدت بى ، عن لحاقك ، علة
ولكن قضاء ، فاتنى فيك ، مبرم

الترقيم للمحرر ، ص ٣٩ . هذان بيتان من قصيدة طويلة يذكر فيها أبو فراس أسر صاحبه « أبى العشائر » وطلبه له ووصوله إلى « مرعش » فى أثره . ومن روايات البيت الثانى : « قعدت بى همة » . فالظن أن « همة » أعلى من « علة » لأنها توافق سياق البيتين ، علاوة على أن فى تعابيرهم المتوارثة : « همة قاعدة » . فهنا كان يحسن بالمحرر أن يؤيد فى الهامش تفضيله بدليل .

ثم إن هنالك أبياتا جد قليلة لاتزال مفتقرة إلى تبيين ، مثل :

ألست ابن الألى شادوا المعالى
وأرسوا الناس بالشرف الرياسى

بضم السين فى « أرسوا » ، ص ٢٣٦ . فما « أرسوا الناس » هذه ؟ هل نقرأ « راسوا » بالتخفيف ؟

هكذا ترى أن النص على وفرة النسخ ليس بالهين تحقيقه . فلا يسعنى إلا أن أقدر عمل الدكتور سامى الدهان . وإن عمله ليزيده خطراً تلك المقدمة التى صنعها فى اللغة الفرنسية فاستقصى فيها ما يتصل بالديوان : عرض تصانيف القدماء و إشاراتهم ورواياتهم ، منهم الثعالبى فى يتيمة الدهر والحصرى فى زهر الآداب وابن الأثير فى التاريخ الكامل وابن عساكر فى التاريخ الكبير . وانتقل إلى ما سطره المحدثون أمثال البستانى وجرجى زيدان والسيد محسن العاملى والى مختارات لظرائهم . ثم تلفت إلى الغرب فسرد رسائل المستشرقين ومباحثهم سرداً منتظما فى تصفح . وانتقد بعد ذلك ثلاث الطبعات المتداولة . ثم أكب على المخطوطات التى اهتدى إليها فما زال يقلب فيها النظر فيفرز ويفصل ويقرب ويجنب حتى رتبها بالاضافة إلى الأصول فأدرجها طوائف تحت أمات أربع ، زيادة

على ما أسماه « أشباه الجاميع » وفيها طرف من شعر أبي فراس ، وعلى ما أعجزه إدراكه من النسخ فلم يدخل في الترتيب . ثم حاول أن يسلسل القصائد على التعاقب الزمنى فسلكها تحت أبواب ثلاثة : ما قيل قبل الأسر ثم فيه ثم بعده . وأتبع ذلك بتقسيم القصائد على الأغراض من نسيب وفخر ورثاء وتوجع ، وهو يفصل ويوضح . ثم رأى أن يختم سعيه بمضاهاة النسخ طائفة طائفة ، فصنف جداول محكمة بين خاصة وعامة أثبت فيها اختلاف مظان القصائد . ولا يقوى على مثل هذا السعى الشاق إلا الأقلون ممن يحالفون الصبر الطويل ولا يخيفهم الايغال في خدمة العلم المحض . وبالجملة إن تلك المقدمة تنزل منزلة أنموذج سوىّ للمنهج الواجب في إخراج النصوص .

بشر فارس